الربيـــع... تحليل لأغرب ظاهرة في تاريخ ثورات العرب

www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimSpAnStrPhenArRev.pdf

أ.د. قاســـــم حسيـــــن صالـــــح
رئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

كان اطلاق عنوان (تسونامي العرب)على الأحداث التي بدأت في تونس ومصر...أصدق من عنوان (ربيع العرب)،لأن (الاعصار) يحمل المفاجئات.ولعل المفاجأة الأكبر هي أن " ثمرة "ثورات العرب قطفها الاسلام السياسي مع انه ليس بمفجّرها ولا متصدّرا لأحداثها.فلماذا يحصل هذا الذي يبدو غير منطقيا،في مفارقة :أن الذين نزلوا الى الشارع وضحّوا وأسقطوا أنظمة حكم قوية ،يخرجون منها كما بدأوا ،فيما الذين كانوا يتفرجون ..يستلمون السلطة؟!.

كان اطلاق عنوان (تسونامي العرب)على الأحداث التي بدأت في تونس ومصر...أصدق من عنوان (ربيع العرب)،لأن (الاعصار) يحمل المفاجئات

التحليل الاجتماعي وعلم النفس السياسي يقدمان لنا الاجابات الآتية:

1. ان الأحداث التي بدأت في كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير 2011،كانت ثورة تلقائية قام بها أفراد غير منتظمين بحزب له تاريخ وقيادة لها فكر ايديولوجي،انما كان يجمعهم الأحساس بأنهم مضطهدون من سلطة غير عادلة اجتماعيا ولا تحترم كرامة الانسان.وكان الشعور بالحيف والمهانة قد عمل على تحرير (أنا) الكرامة والحرية المكبوت في الداخل لينفجر في صرخة وصل صداها الى مكبوت آخر فعملت محرّضا لأن يصرخ..لتتحول الصرخة بين المكبوتين الى ما يشبه عود ثقاب أشعل عود حطب في بيدر ليتوهج البيدر كله..فتكاثفت صرخات الأفراد في صرخة جموع وصل صداها الى مكبوتين كانت اصواتهم مخنوقة في حناجرهم ..فأطلقوها ..لتتوحّد في صرخة أرعبت السلطة التي كانت تخرس كل الأصوات.

كان الشعور بالحيف والمهانة قد عمل على تحرير (أنا) الكرامة والحرية المكبوت في الداخل لينفجر في صرخة وصل صداها الى مكبوت آخر فعملت محرّضا لأن يصرخ..لتتحول الصرخة بين المكبوتين الى ما يشبه عود ثقاب أشعل عود حطب في بيدر ليتوهج البيدر كله

هذا يعني ان المحرّك الأساسي لثورات العرب كانت (انفعالات)أكثر منها (فكرا).بمعنى ،أن المشاعر الشعبية المشتركة التي تحررت من كبتها هي التي وحّدت تلك الثورات وليس الفكر المتمثل بقيادة موحّدة تمتلك خبرة في بناء دولة جديدة.والنتيجة المنطقية ،هي أن أية انتفاضة شعبية من هذا النوع ينتهي أو يضعف دور القائمين بها بانتهاء مشهد الانتفاضة..ليبدأ دور قوة يجمعها تنظيم ويوحّدها فكر،تتصدر المشهد وتقطف الغنيمة جاهزة.

2.ان مناصرة أميركا لأسرائيل ،ودعمها لأنظمة حكم عربية فاسدة ومستبدة ،ومعاداتها للقوى الاسلامية ،يعدّ من أهم الأسباب التي تجعل قوى الأسلام السياسي تحظى بتأييد واسع بين الفئات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة التي تؤلف النسبة الأكبر في المجتمعات العربية في تحديد الفائز بالانتخابات التشريعية.

3.ان القوى اليسارية والأحزاب الشيوعية في العالم العربي،مع أنها الأكثر في التضحيات البشرية، لم يعد لها الرصيد الجماهيري الذي كانت تتمتع به في خمسينيات وستينيات القرن الماضي ،للأسباب الآتية:

أ. تعرّض أقوى حزبين شيوعيين في العالم العربي،الشيوعي العراقي والشيوعي السوداني، الى كارثتين تم فيهما تصفية قياداته وكواداره الفاعلة،نجم عنه انكسار نفسي خفت فيه أمل الجماهير التي كانت ترى في هذه الأحزاب..المنقذ والمخلّص.

ب.انقسام القوى اليسارية والتقدمية على نفسها ،وتحكّم (تضخّم الأنا) في قيادات فصائلها الذي حال دون توحّدها،ادى الى اضعاف نفوذها ومحدودية التأييد لها في الانتخابات العامة،لسبب سيكولوجي يعتمل في ذات الناخب العربي ،هو ان القوى التي لا تستطيع ان تصل الى صيغة توافقية فيما بينها لا يمكن لها ان تبني وتقود دولة.

ج.تخوف العامة من الناس وخشيتهم من أن القوى العلمانية ستعمل ضد الدين اذا استلمت السلطة ،وستشوه تقاليدا وقيما اخلاقية ومقدسات يعرضهم دفاعهم عنها الى دكتاتورية من نوع جديد.

د.تولّد ما يشبه اليقين لدى الغالبية في المجتمعات العربية بأن القوى اليسارية والأحزاب الشيوعية لن يسمح لها داخليا(أصحاب الثروة) وخارجيا (اميركا تحديدا) باستلام سلطة ولا حتى أن يكون لها دور فاعل فيها..يفضي سيكولوجيا الى البحث عن بديل مقبول في نظرها ،فتجده في قوى الاسلام السياسي ،ليس لما يتمتع به من أهليّة في استلام الحكم ،ولكن لضعف اعلام وتثقيف القوى التقدمية الذي يبطل (يقين)عجز الأغلبية بيقين الممكن الأفضل والأكفأ.

ه. ضعف الامكانات المادية للقوى التقدمية،لاسيما في وسائل الاتصال–الفضائيات بشكل خاص،واعتمادها وسائل تقليدية في التثقيف الجماهيري،امام زخم هائل ممول بثروة نفطية من اعلام عربي يدعم بشكل مباشر و غير مباشر ..الاسلام السياسي.

4. ان انهيار الاتحاد السوفياتي الذي كان يمثّل قوة عظمى ناصرت حركات التحرر العربي في الجزائر،والعراق،...وموقفه الحازم والتاريخي بوجه العدوان الثلاثي على مصر ،وموقفه التاريخي ضد امريكا في ألأمم المتحدة(تذكروا موقف خروتشيف)،أضعف رصيد القوى التقدمية بين الناس التي كانت تعلّق عليها الآمال في الخلاص،وتفرّد ،خصمه،أميركا في المشهد السياسي العالمي والأقليمي.بما جعلها تتكفأ على نفسها بسيكولوجية من لا حول له ولا قوة.

5.ان تصاعد استبداد أنظمة الحكم العربية وعدم وجود قوى تقدمية ويسارية فاعلة في جبهة المعارضة،دفع بالمظلومين الى الالتجاء الى الجوامع ودور العبادات التي تمثل مراكز استقطاب لقوى الاسلام السياسي.

6. ان ثلثي الناس في المجتمعات العربية مغيب وعيها،وتتحكم في معظمهم سيكولوجيا القبيلة

ان المحرّك الأساسي لثورات العرب كانت (انفعالات)أكثر منها (فكرا)

ان مناصرة أميركا لأسرائيل ،ودعمها لأنظمة حكم عربية فاسدة ومستبدة ،ومعاداتها للقوى الاسلامية ،يعدّ من أهم الأسباب التي تجعل قوى الأسلام السياسي تحظى بتأييد واسع بين الفئات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة

ان القوى التي لا تستطيع ان تصل الى صيغة توافقية فيما بينها لا يمكن لها ان تبني وتقود دولة

ان ثلثي الناس في المجتمعات العربية مغيب وعيها،وتتحكم في معظمهم سيكولوجيا القبيلة

والطائفة والقومية والدين،فيما الفكر التقدمي يتعامل مع الانسان بوصفه قيمة انسانية،ويرفض القيم والتقاليد التي يلتزم بها هذان الثلثان اللذان يقرران من يفوز في الانتخابات ويحددان من يأتي الى عضوية البرلمانات العربية.

7.قدمت تركيا في عهد أردوغان ،للعالمي العربي والاسلامي،جمهورية ثانية بهوية اسلامية ديمقراطية بعد ان كانت في جمهوريتها الأولى بهوية علمانية ،وشكلّت أنموذجا جديدا في الحكم جمع بين أضداد بتوليفة فريدة في تاريخ الاسلام.فحين فاز اردوغان بالحكومة عام 2002 أعلن انه لا يمثل حزبا دينيا ،ولا يريد بناء دولة ديمقراطية تفصل بين الدين والدولة كما في أوربا ،ولا يريد للدولة ان تسيطر على الدين كما هو حال العلمانية التركية ..وصرّح قائلا:(نحن لا نحتاج الى مزيد من المشايخ أو علماء الدين ،وانما نحتاج في تركيا الى رجال سياسة ماهرين وشرفاء).وركّز على ثلاث قضايا تهم الناس نجح في تحقيقها :العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة ،والبطالة ،والتنمية وبها كسب ثقة وحب وتأييد ما يزيد على أربعين مليون تركي.وكان للأنموذج التركي وزيارة أردوغان لمصر بعد الثورة أن احدثا تغييرا جوهريا في أفكار وبرامج قوى الأسلام السياسي التقليدي وظهور قوى اسلام سياسي جديدة تأثرت حتى بعنوان حزب اردوغان (عدالة،تنمية..)،ما جعلها تتحول من شعار (الاسلام هو الحل) الى الانفتاح على القوى الأخرى في الداخل والاجتماع حتى بالأمريكيين (شيطان الأمس!) .وبهذا تكون تركيا قد خدمت قوى الاسلام السياسي العربي سيكولوجيا بأن جعلت الناخب العربي يضع أمله فيها ممنيا نفسه أن يكون الحكم في بلده على غرار الأنموذج التركي.

وللتاريخ فان حركة الأخوان المسلمين في مصر التزمت الصمت وامتنعت عن المشاركة الفاعلة في الثورة..الى ان انجلى الموقف ..أي انها ظلت متفرجة الى حين رجحت كفة الثورة التي تحولت من ثورة شباب الى ثورة شعبية.وكذا الحال فيما يخص حركة النهضة في تونس،مع ان لهما تاريخا ومواقف ضد نظامي الحكم في بلديهما..لكنهما كانتا كالنظام..فوجئتا ايضا بما حدث.

ولأن من صنع الثورة ما كانت قوى الاسلام السياسي ،فان حركة النهضة في تونس ،والأخوان المسلمين في مصر لاحقا،غيرت خطابها السياسي بما يتناغم او ينسجم مع مزاج الثورة ،وصبغت ما كانت تعتبره خطا احمر بلون اخضر. فلم يعد لبس (البكيني) على ساحل البحر ..خطا احمر ..وصارت المرأة مساوية للرجل حتى في الترشيح الى رئاسة الجمهورية.ولم تعترض حركة النهضة في تونس على مادة في الدستور تمنع تعدد الزوجات ،بل حافظت عليها برغم انها ضد الشريعة الاسلامية.فضلا عن (اطمئنان) المواطن بأن هؤلاء يخافون الله ويقيمون العدل بين الناس أفضل من غيرهم ،لسبب سيكولوجي هو ان العربي عموما يميل للركون الى رجل الدين اكثر من رجل العلم،ولأنه ما يزال تحكمه سلطة الجماعة القائمة على مبدأ المسايرة،ويتصرف طبقا للمعايير والقيم التقليدية والأسرية..ولم تتبلور لديه بعد (ذاته) الشخصية المستقلة في الرأي والقرار.

والطائفة والقومية والدين

قدمت تركيا في عهد أردوغان ،للعالمي العربي والاسلامي،جمهورية ثانية بهوية اسلامية ديمقراطية بعد ان كانت في جمهوريتها الأولى بهوية علمانية ،وشكلّت أنموذجا جديدا في الحكم جمع بين أضداد بتوليفة فريدة في تاريخ الاسلام

تركيا قد خدمت قوى الاسلام السياسي العربي سيكولوجيا بأن جعلت الناخب العربي يضع أمله فيها ممنيا نفسه أن يكون الحكم في بلده على غرار الأنموذج التركي

لأن من صنع الثورة ما كانت قوى الاسلام السياسي ،فان حركة النهضة في تونس

لقد توقعنا أن قوى الاسلام السياسي ستكون هي الرابح الأكبر من ثورات العرب،ونتوقع انها ستبقى في السلطة لعقد من الزمن ، لأن مزاج الجماهير العربية في الأوساط الفقيرة والمحدودة الوعي ..سيكون معها لدورتين انتخابيتين، ولن يحصل تغيير جوهري لصالح القوى العلمانية الا في الدورة الانتخابية الثالثة،اي بعد عام 2020، لأن السلطة ستفسد حكّاما ومسؤولين كانوا يعدّون قدوة في نظر ناخبيهم الذين سيتخلون عنهم،ولبطء ايقاع اداء حكومات قوى الاسلام السياسي في بناء دولة تأخذ بمفاهيم ومعايير حداثة تتطور بايقاع متسارع ،ولانحسار حجم الكبار المؤيد لها واتساع حجم الشباب المتطلع الى التغيير والراغب سيكولوجيا في التمرد على سلطة الأب(الحكومة)،صارت تغذيها بشكل فاعل..شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت.

تلك هي ملخص رؤيتنا من منظور التحليل السيكوسوسيولجي لمسار (تسونامي العرب)،يفترض انها تشكّل بعدا من منظور تكاملي يتضمن ايضا بعديه السياسي والأقتصادي وتفاعل هذه الابعاد الثلاثة في توقع ما سيتمخض عن أغرب ظاهرة في تاريخ ثورات العرب وأكثرها مفارقات!.

Prof.Dr. Qassim Hussein Salih
Head of Iraqi Psychological Association

،والأخوان المسلمين في مصر لاحقا،غيرت خطابها السياسي بما يتناغم او ينسجم مع مزاج الثورة

لقد توقعنا أن قوى الاسلام السياسي ستكون هي الرابح الأكبر من ثورات العرب،ونتوقع انها ستبقى في السلطة لعقد من الزمن

خريف/ شتاء 2013/2012 : **فصلي المصطلح النفسي العربي**

المعجم الموسع للعلوم النفسية (الاصدار العربي)
عربي - انكليزي - فرنسي

تغيير" ترجمة مصطلح أو ادراج" مصطلح عربي جديد في قاعدة البيانات
http://www.arabpsynet.com/propar/arPropForm.htm

للبحث في المعجم النفسي العربي
http://www.arabpsynet.com/AR/SearchArForm.htm

المعجم الموسع للعلوم النفسية (الاصدار الفرنسي)
فرنسي- انكليزي -عربي

تغيير" ترجمة مصطلح أو ادراج" مصطلح فرنسي جديد في قاعدة البيانات
http://www.arabpsynet.com/propfr/FrPropForm.htm

للبحث في المعجم النفسي الفرنسي
http://www.arabpsynet.com/eng/SearchEngForm.htm

المعجم الموسع للعلوم النفسية (الاصدار الإنكليزي)
انكليزي - فرنسي- عربي

تغيير" ترجمة مصطلح أو ادراج" مصطلح انكليزي جديد في قاعدة البيانات
http://www.arabpsynet.com/propeng/engPropForm.htm

للبحث في المعجم النفسي الانكليزي
http://www.arabpsynet.com/eng/SearchEngForm.htm